مباراة الكريكيت

بريم تشاند[1]

ترجمة من الأردية: د. هيفاء شاكري[2]

1/ يناير 1935م

لا أستطيع أن أعبر عن اليأس الذي شعرت به أثناء مباراة الكركت اليوم، كان فريقنا أقوى من منافسه لكننا هزمنا وغادر الفريق المنافس رافعا الكأس، يردد أناشيد النصر والفوز. لماذا ؟ فقط لأنه لا يشترط عندنا الاحتراف لأجل القيادة. إنما نعدّ الغنى ضروريا لذلك. فقد انتخب سمو الأمير قائدًا للفريق واضطر الجميع للاستسلام لقرار لجنة الكركت، ولكن كم من القلوب احترقت وكم من الناس استسلموا لهذا القرار بوصفه أمر الحاكم ؟ اسألوا اللاعبين أين الأمل والحماس ؟ وأين العزيمة ؟ وأين الرغبة في إسالة آخر قطرة من الدماء؟ لعبنا ولعبنا بقلوبنا في الظاهر ولكن الحق أنه لم يكن جيشًا يحارب لأجل الفوز ولم يكن أحد يرغب في هذا اللعب.

كنت واقفا في المحطة أفكر في أن أقطع لنفسي تذكرة الدرجة الثالثة عندما اقتربت مني تلك الجميلة التي نزلت لتوها من السيارة وصافحتني قائلة: "السيد ظفر؟ أنت أيضا معنا في القطار نفسه ؟"

تحيرت، من هذه الحسناء ؟ وكيف تعرف اسمي ؟ بهتّ للحظة وكأن كل تقاليد الأدب والأخلاق طارت من رأسي، إن الجمال له هيبة تجعل رؤوس الأكابر تخضع، ولم أشعر بعجزي مثلما شعرت به في ذلك الوقت. لقد صافحت نظام حيدرآباد، والحاكم الإنجليزي، ومهاراجا ميسور وتناولت طعامي جالسا معهم، لكن هذا الشعور بضياع النفس لم أشعر به في ذلك الوقت. وكنت أود تقبيل قدميها بأهدابي، لم تكن مليحة لدرجة أن نضحي بحياتنا من أجلها ولم تكن فيها تلك النعومة التي يتحدث عنها الشعراء لكنها كانت تمتلك الذكاء والثقة والوقار، وقلبًا حيا ورغبة في إظهار الشوق دون حجاب. وقد أجبتها بقولي: نعم.

---

[1]- كاتب شهير للقصص والروايات باللغة الأردية والهندية

[2] - أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، الهند

كيف أسألها عن معرفتها بي، انفتاحها يدل على أنها تعرفني، فكيف لي أن أتجاهلها، وقد أديت واجبي قائلا: "أي خدمة ؟[3]"

قالت مبتسمة: "نعم، هناك أشغال كثيرة، تفضل نجلس في صالة الانتظار، إنك ذاهب إلى لكناؤ؟ أنا أيضا".

أجلستني على الكرسي الهزاز بعد دخولنا صالة الانتظار، وجلست هي على كرسي عادي ومدت إلي علبة السجائر قائلة:"كانت طريقة رميك للكرة اليوم خطيرة وإلا لكنا قد هزمنا بفارق كبير".

بلغت حيرتي الذروة، وهل لهذه الجميلة رغبة في لعبة الكركت أيضا؟ كنت أشعر بالحرج وأنا أجلس أمامها على الكرسي الهزاز، لم يصدر مني هذا التصرف غير اللائق من قبل، وكنت منتبها لذلك. شعرت بانقباض وفقدت في نفسي ذلك الإحساس الوردي والحماس الذي كان من الطبيعي أن أشعر به في موقف كهذا.

سألتها:"وهل كنت موجودة هناك؟"

قالت وقد أشعلت سيجارتها:"نعم من البداية إلى النهاية. أعجبني لعبك أنت فقط. أما البقية فكانوا يلعبون بغير رغبة وأنا أعلم سر ذلك. لا يوجد لدينا الشعور بإدراك القيمة الصحيحة للفرد، وكأن التخلف السياسي قد قضى على جميع صفاتنا الحسنة، فمن يملك الثروة هو القادر المطلق، ويمكنه أن يكون رئيسا لندوة علمية أو أدبية أو اجتماعية سواء كان مؤهلا لذلك أم لا، فيفتتح المنشآت الجديدة، ويضع الحجر الأساس بيده، ويقود الحركات الأدبية، ويقوم بإلقاء الخطابات في حفلات التخرج، ويوزع الهدايا على الطلاب، كل هذا ببركة تفكيرنا المستعمَر. ولا عجب أننا أصبحنا في قاع المذلة والانحطاط. في مجال الحكم والاختيار نحن مضطرون، لكن في المواضع التي نستطيع أن نبرز فيها خيالنا الحر وعلمنا، نقوم بمراعاة التقاليد وتبجيل النعم ، كان من اللازم أن تكون أنت كابتن هذا الفريق، حينها كنت أرى كيف يمكن الفوز للفريق الآخر، أما قدرة المهاراجا على تحمل قيادة الفريق هي نفسها التي تملكها أنت لترأس البرلمان، أو أنا لأكون ممثلة سينما".

المشاعر نفسها التي كنت أشعر بها ولكن كم أصبحت مؤثرة ومفيدة بعد أن نطقتها هي بلسانها. قلت لها: "قولك صحيح، إن هذا من ضعفنا".

---

[3] - مدينة في شمال الهند تشتهر بثقافتها وتقاليدها الراقية

"كان عليك ألا تكون عضوا في هذا الفريق".

"كنت مضطرًا".

اسم تلك الحسناء الآنسة هيلن موكرجي، قادمة من إنجلترا، وتوقفت في بومباي لمشاهدة هذه المباراة، درست الطب في إنجلترا، وخدمة الإنسانية هو هدف حياتها، وقد شاهدت صورتي هناك في إحدى الصحف وقرأت عني ومنذ ذلك الوقت وهي تحسن الظن بي، وعندما شاهدتني ألعب هناك تأثرت أكثر. وتنوي أن تكون فريقًا جديدا للهند يكون أعضاؤه من الذين يستحقون فعلا أن يمثلوا الشعب. وفكرتها أن أكون كابتن الفريق، ولذلك تنوي أن تجوب الهند كلها. قد ترك لها والدها الراحل الدكتور ن. موكرجي ثروة طائلة دون أن يشاركها فيها أحد، طار عقلي عاليا عندما استمعت إلى أفكارها ونياتها، من كان يظن بأن يتحقق حلمي الذهبي بهذه الطريقة المفاجئة، لا أؤمن بالغيب ولكن اليوم امتلأت كل خلية من خلايا جسدي بمشاعر الشكر والاحترام.

شكرت الآنسة هيلن بكلمات مناسبة ومتواضعة.

دقت صفارة القطار، طلبت الآنسة موكرجي تذكرتين للدرجة الأولى، ولم أستطع الاعتراض. جعلت الحمال يحمل أمتعتي، وحملت قبعتي بيدها، ثم جلست في كابينة من كبائن القطار واستدعتني إلى الكابينة نفسها، ركب الطاهي الذي كان يرافقها في الدرجة الثالثة.

وكأن همّتي قد سلبت مني، لم أدر لماذا كنت أدعها تتصرف بإقدام في كل هذه الأمور التي كان من اللازم أن أقوم بها أنا لكوني رجلا . ربما تأثرت وخضعت لحسنها ووقارها الذهني وعلو همتها، وكأنها قد سحرتني مثل سحرة كامروب[4] وسلبت مني قوة إرادتي، وقد ذابت شخصيتي في هذه المدة القليلة في رغباتها، كان من عزة نفسي ألا أدعها تطلب لي تذكرة الدرجة الأولى وأن أركب الدرجة الثالثة وإن كنت قد ركبت الدرجة الأولى فكان عليّ أن أطلب تذكرتين لكلينا بكل سخاء، ولكني في الواقع سلبت قوة الإرادة.

2/يناير:

[4] ـ مدينة هندية قديمة اشتهرت بالنساء الساحرات

أنا متعجب من هذا العطف الكبير لهيلن عليّ، وهذا ليس عطف الصداقة فقط، بل فيه إخلاص الحب، إن العطف لا يكون كريمًا إلى هذه الدرجة، أما الاعتراف بمهارتي في اللعب، فلست ناقص عقلٍ لدرجة أن لا أدرك ذلك، إن الإقرار بالمهارة يمكن أن يؤدي إلى سيجارة وفنجان شاي على الأكثر ، وأحصل على هذا التكريم في الأماكن التي أدعى إليها للعب، ولكنها تخلو من هذا الترابط القلبي، وتكون الضيافة بطريقة رسمية. أما هي فكأنها قد جنّدت نفسها لراحتي، وليس بإمكاني أن أعامل أحدًا بهذه الطريقة غير حبيبتي، تذكروا قلت حبيبة وليست زوجة. نحن لا نحترم الزوجة، إنما طلب التكريم والخدمة منها أصبحت طريقتنا، وربما هي الصحيحة ولكني في الوقت الحاضر لا أتمتع بأي نعمة من هاتين النعمتين.

شاركتها الفطور والغداء والعشاء، في كل محطة (كان القطار قطار بريد، وكان يتوقف في محطات معينة فقط) تطلب الفواكه وتصرّ على أن أتناولها، وتعلم جيدا ما هو الشيء المعروف في كل مكان، قامت بشراء هدايا منوّعة لأقاربي ولكن العجيب أنني لم أمنعها ولو مرة واحدة، كيف لي أن أمنعها، فهي لم تشترها بمشورتي؟ عندما تحضر شيئا وتقدّم لي بكل حب كيف أستطيع أن أرفض؟ لا أدري لماذا بالرغم من كوني رجلًا أشعر أمامها بخجل وأصبح قليل الكلام كامرأة؟.

أصابني الأرق طوال الليل بسبب تعب النهار، وكنت أشعر بصداع خفيف، ولكني بالغت في ذلك، لو كنت وحيدًا لم أكن لألتفت إليه، ولكني كنت أشعر بلذة في إظهاره أمامها، بدأت تفرك رأسي بعد وضع الزيت وتهالكتُ من غير سبب، وازداد خوفها كلما زاد اضطرابي، وكانت تسألني بين الحين والآخر: "كيف الصداع؟" وكنت أرد عليها بطريقة عادية: "أحسن". كنت أشعر بدغدغة في روحي بإحساس كفيها الرقيقتين، وجهها الجذاب ينحني على رأسي وأنفاسها الحارة تقبل جبهتي، وأنا... كأني أتلذذ بنعيم الجنة، إن رغبة الانتصار عليها قد تولّدت في نفسي، أريدها أن تجبر خاطري ويجب أن لا يكون هناك شيء من جانبي يشعرها بهيامي بها. في خلال أربع وعشرين ساعة كيف حدثت هذه الثورة في ذهني ؟ كيف أصبحت راغبًا، لم أفهم ، لا أعلم متى غلبني النوم ولكن عندما استيقظت، وجدتها جالسة بنفس الانهماك واضعة يديها على رأسي، شعرت بالعطف عليها وقلت لها: "لا تكلّفي نفسك، أنا بخير"، من الذي ليست لديه بعض الخبرة في العشق؟ وأنا لست خارجًا عن ذلك. لكن ما شعرت به من اللطافة في كوني معشوقا أستطيع أن أضحي من أجلها كوني عاشقًا، عندما تُحِبُّ تكون عبدًا وعندما تُحَبُّ تكون ملكًا.

قلت بلهجة عاطفية: "عانيت الكثير بسببي."

"لا لم أعان من شيء، وأي معاناة؟ كنت مضطربًا بسبب الصداع وأجلس أنا؟! يا ليت كان هذا الصداع قد أصابني."

وطرت إلى أعالي العرش.

5/يناير:

وصلنا إلى لكناؤ مساء أمس وفي الطريق تحدثت مع هيلين في الأمور السياسية والأدبية والتطور. بفضل الله أنا خريج جامعة وأطالع الكتب منذ ذلك الوقت في فراغي، أجالس العلماء أيضًا، ولكني شعرت بقلة بضاعتي بين الحين والآخر أمام سعة علمها، لها رأيها الخاص في كل قضية ويظهر أنها اتخذت رأيها هذا بعد بحث وتحقيق كبير وعلى عكسها فأنا من الأشخاص الذين إذا كانوا بين الروم عملوا مثلهم، وتؤثر عليهم الآراء المؤقتة بشكل كبير. كنت أحاول أن أسلّط عليها تفوقي الذهني، ولكن نظرياتها كانت تفحمني، وعندما رأيت أنني لا أستطيع أن أتفوق عليها في القضايا العلمية، تحولت إلى قضية شبه جزيرة سيناء وإيطاليا والتي حسب اعتقادي قرأت عنها الكثير وصرفت كل طاقتي الخطابية في مدح الضغط الذي مارسته إنجلترا وفرنسا على إيطاليا.

قالت مبتسمة: "إن كنت تعتقد أن إنجلترا وفرنسا تتحركان بسبب مشاعر الإنسانية فأنت مخطئ، إنهما وبشعورهما بامتلاك العالم لا تتحملان أن تنشأ قوة أخرى في العالم وتتوسع. إن موسيليني يفعل نفس ما فعلته إنجلترا وتفعله إلى اليوم. وكل هذه الدراما هي فقط للحصول على الفوائد السياسية والتجارية من جزيرة سيناء. إن كانت إنجلترا تحتاج إلى أسواق لتجارتها وإلى أرض لسكانها المتزايدين، ولخطط كبيرة للمتعلمين منهم، فلم لا تصبو إيطاليا لذلك ؟! إنما تفعله إيطاليا تفعله علانية وبأمانة ولم تدعُ في يوم من الأيام إلى الأخوة العالمية، ولم تجاهر بأناشيد الأمن أبدًا. إنها تقول وبكل وضوح إن الحرب هي علامة الحياة، وإن تطور الإنسانية لا يكون إلا بالحرب، وتطور الصفات الملكوتية للإنسان لا يكون إلا في ميدان القتال، وهي تعدّ نظرية المساواة جنونًا، وتعدّ نفسها أيضًا من ضمن الشعوب المختارة التي لها الحق في استعباد الأمم، ولذلك من الممكن أن نفهم تصرفاتها، أما إنجلترا فقد تصرفت دائما بالمكر والخداع، إما بالتفرقة بين الشعوب أو الإخضاع بجعل خلافاتهم مدارا للسياسة. وأتمنى أن تتقدم إيطاليا واليابان وألمانيا تقدمًا كبيرًا وتقوم بمحقِ سلطة إنجلترا وبذلك تتحقق الجمهورية الحقيقية في العالم ويتحقق الأمن ولا يسود الأمن إلا بمحو الثقافة الحالية. يجب

أن لا يسمح للشعوب الضعيفة بالعيش مثل النباتات الضعيفة ليس فقط لأن وجودها يضرّ بها نفسها، بل لأنها هي المسؤولة عن هذا النزاع والدمار في العالم".

كيف كان لي أن أتفق معها! رددت عليها وخالفت أفكارها بكل شدة، ولكني رأيت أنها لا تريد أن تستخدم عقلها السليم في هذا الموضوع أو أنها لا تقدر على ذلك.

حال النزول إلى المحطة فكّرتُ في كيفية استضافة هيلن، إذا أنزلتها في فندق فماذا ستقول عني؟ وإذا استضفتها في بيتي فالخجل يغمرني، إذ كيف لي أن أوفّر أسباب الراحة لجميلة تعيش حياة رغدة والصدفة أنني ألعب الكركت جيدًا وتركت الدراسة من أجل اللعبة، وأنا أيضًا معلّم في مدرسة، ولكن المنزل على ما كان عليه، بيت قديم مظلم ومتهالك، في زقاق ضيق على نفس الطريقة القديمة، أما الوالدة فيمكن أنها لا تسمح لهيلن أن تدخل البيت، وما الذي يدفع الأمر إلى هذا الحد؟ هيلن نفسها ستعود أدراجها من باب البيت. يا ليت لو كنت أملك بيتًا جميلا مزينا خاصا بي، وليتني كنت قادرًا على استضافتها، كنت سأعدّ نفسي سعيد الحظ حينئذ، ولكن تبا لهذا البؤس.

كنت غارقا في هذا التفكير عندما استدعت هيلن حمالًا وطلبت التاكسي، لم يكن بوسعي إلا أن أركب التاكسي مع يقيني بأنني إن كنت قد دعوتها إلى بيتي بالرغم من بؤسي لكانت قد سرّت بعملي، هيلن ذات ذوق رفيع لكنها ليست مدللة، إنها مستعدة دائما لكل اختبار وتجربة، وكأنها تستدعي هذه المحن والتجارب غير المرغوب فيها ولكني لا أملك لا التخيل ولا الجرأة لذلك.

لو كانت نظرت إلي بإمعان لعلمت مدى الندامة والرجاء اللذين يشوبان وجهي، لكن كان علي التظاهر فاحتججت: "كنت أريدك أن تكوني ضيفة عندي وعلى العكس من ذلك تأخذينني إلى الفندق".

قالت بشقاوتها المعهودة: "حتى لا تخرج من قبضتي، وهل ثمة ما هو أكثر سعادة بالنسبة لي من أن أكون ضيفة لديك!. لكن الحب حسود وأنت تعلم هذا. ففي بيتك يشغل أحباؤك معظم أوقاتك، ولن تجد وقتا للتحدث إلي، ولدي خبرة في معرفة حال الرجال في عدم وفائهم وسرعة تناسيهم ، لا أستطيع أن أتركك ولو للحظة واحدة. لكن عندما تشاهدني أمامك لا تستطيع أن تنساني حتى لو أردت ذلك".

يا لحظي السعيد شعرت كأنني أعيش حلمًا، فهذه الجميلة التي رغبت في أن أضحي بنفسي لإشارة واحدة من عينيها، تعترف أمامي بحبها وتمنيت مع اعترافها هذا أن أضم قدميها إلى صدري وأغرقهما بدموعي.

وصلنا إلى الفندق وكانت لي غرفة مستقلة. تناولنا العشاء معا ثم مشينا على العشب الأخضر، وكانت المشكلة في كيفية اختيار اللاعبين، تمنيت لو أمشي طوال الليل ولكنها قالت: اذهب لكي تستريح، غدًا لدينا عمل كثير. استلقيت على السرير في غرفتي، ولكني لم أذق طعم النوم أبدًا. إن ما يكمن داخل هيلن مخفي عن نظري إلى الآن، وتزداد غموضا بالنسبة لي كل لحظة.

12/يناير:

تجمع اليوم الكثير من لاعبي الكركت لمدينة لكناؤ، وكانت هيلن كشمعة تهافتت عليها الفراشات. من هنا (أي من مدينة لكناؤ) أعجبت هيلن بلعب اثنين من اللاعبين غيري، برجندر وصادق. تريد هيلن أن تضمهما إلى منتخب عموم الهند ولا شك أنهما ماهران في هذا الفن، ولكن الطريقة التي بدآ بها اللعب تظهر أنهما لا يلعبان الكركت وإنما يلعبان فرصة حظهما.

ما هو طبع هيلن؟ من الصعب جدًا الفهم، فبرجندر أكثر وجاهة مني وأنا اعترف بهذا، هو سيد بمظهره لكنه مغازل وخبيث. لا أريد لهيلن أن ترتبط به بأي طريقة. وكأن الأدب لم يمسه، بذيء اللسان، وقح السخرية، لا يعرف كيف يتحدث وماذا يقول وفي بعض الأحيان يقول لهيلن كلمات ذات مغزى أخفض رأسي خجلا منها، ولكن هيلن لا تشعر بابتذاله وسوقيته، بل وكأنها تستمتع بهذه المعاني والكنايات. فلم أشاهدها وقد قطبت جبينها في يوم من الأيام، لا أقول بأن الانفتاح شيء سيء، ولست بعدو للظرافة، لكن علينا أن نراعي حديثنا جيدًا إن كان أمام سيدة محترمة.

وصادق نجل عائلة مكرمة، بارد الأعصاب ومتكبر، فظ لكنه دخل أيضا في فهرس المتغازلين، بالأمس كان يلقي أشعاره على مسامع هيلن وكانت مسرورة، أما أنا فلم تعجبني أشعاره أبدًا. لم أره يقول الشعر قبل هذا فمن أين خرجت هذه الأشعار فجأة؟ إن الجمال يمكنه أن يفعل العجائب. وماذا بيدي أن أقول غير هذا. وإن كان يريد أن يلقي عليها الشعر فكان عليه أن يحفظ بعضًا من أشعار حسرت أو جغر أو جوش[5]. ومن أين لهيلن أن تقرأ لكل هؤلاء وما ضرورة قولك

[5] ـ هؤلاء شعراء كبار في الإردية، فالأول حسرت الموهاني والثاني جغر المرادآبادي وأما الثالث فهو جوش المليح آبادي

الشعر؟ ولكني إن قلت له ذلك فسيغضب ويعتقد أني أحسده. ولمَ أحسده؟ أنا من معجبيها أيضا، ولكني أريدها أن تميّز بين الصحيح والغلط. ولا أحبّذ الانفتاح مع كل شخص ولكن الجميع سواسية في عيني هيلن، وهي بدورها تتجنب الجميع وتلتفت إلى الجميع، وتميل إلى مَن أكثر؟ من الصعب تحديد ذلك. إنها غير متأثرة تمامًا بثراء صادق. ذهبنا بالأمس إلى السينما وأبدى صادق سخاء غير عادي إذ كان يودّ شراء التذاكر للجميع. السيد صادق الذي يعتبر بخيلا بل شحيحًا بالرغم من غناه، أيقظت فيه هيلن روح الكرم، ولكن هيلن منعته وذهبت بنفسها لشراء التذاكر، وهي تهدر المال بطريقة تجعل السيد صادق حائرًا متعجبًا، فحينما يدخل يده في جيبه لإخراج النقود، تكون نقودها قد وصلت إلى طاولة الحساب، على كل، فأنا أعترف بإدراكها لطبيعة الآخرين وكأنها تنتظر طلباتنا وتشعر بسرور بالغ بتلبيتها. وقد أهدت السيد صادق ألبومها الذي يحتوي على صور مشابهة لصور أوروبية نادرة رتبتها بعد زيارتها للمتاحف هناك.

وكم عيناها محبتان للجمال، عندما جاء برجندر في المساء لابسا بذلته الجديدة قالت مبتسمة: "أبعد عنك العين كأنك اليوم يوسف الثاني". وفرح برجندر لقولها. عندما ألقيت عليها قصيدتي الغزلية ممزوجة بشيء من الألحان دهشت وفرحت لكل شعر فهي تفهم الكلام جيدًا. ولم أفرح لذوقي الشعري في يوم أكثر من ذلك اليوم. ولكن لا قيمة للمديح إن كان عاما. السيد صادق لم يدع الوجاهة أبدا وبالقدر الذي يتمتع به من الحسن المعنوي لم يمُنح له الجمال الظاهر. ولكن عندما بدت الحمرة في عينيه بعد أن دارت كأس الخمر بيننا قالت له هيلن: "إن عينيك هاتين اخترقتا فؤادي"، أما السيد صادق فكاد أن يسجد لها ولكن منعه الخجل. أعتقد أن أحدًا لم يمدح عينيه بهذه الطريقة من قبل. لم أتمنّ في يوم من الأيام أن يمدحني أحد لمظهري، فأنا أدرى بنفسي ولا أحسب نفسي وجيها، وأعلم أيضا أن كرم هيلن هذا ليس له معنى، ولكني بدأت أقلق، كنت أريد أن أعرف مدى كرمها علي ، لم يكن شيئًا مهما لكني كنت مضطربًا، وعندما عدت من ميدان الجامعة مساءً بعد التدريب الرياضي صار شعري أشعث غير مرتب. نظرت إلي نظرة ملؤها الهيام وقالت: "أريد أن أضحي بنفسي من أجل خصلتك المضطربة هذه". انبسطت أساريري وبدا قلبي كأن عواصف شديدة تمر به.

ولكن لا أعلم لماذا لا يستطيع أحدٌ منا أن يمدح ويصف دلالها وحسنها وجمالها، كأننا لا نملك الكلمات المناسبة فنحن متأثرون بها أكثر مما نقول ولا نملك الجرأة لقول شيء.

1/فبراير:

قدمنا إلى دلهي وفي هذه الأثناء زرنا مراد آباد ونينيتال و دهرادون وغيرها من الأماكن ولكننا لم نفلح في الحصول على أي لاعب. وأملنا أن نحصل على لاعبين جيدين من علي كره ودلهي. لذلك سوف نبقى هنا لأيام عدة وحالما يكتمل عددنا (11لاعبًا) نذهب إلى بومباي ونتدرب هناك. يغادر فريق أستراليا الهند في شهر مارس ويكون قد انتهى من لعب جميع المباريات، والمبارة الأخيرة ستكون معنا ونأمل أن نثأر لجميع هزائم الهند إن شاء الله. صادق وبرجندر كانا معنا أيضًا، لم أكن أريدهما أن يأتيا ولكن هيلن وكأنها تحب تجمّع العشاق حولها. كلنا نزلاء في فندق واحد وكلنا ضيوف هيلن. عندما وصلنا إلى المحطة كان مئات من الناس موجودين لاستقبالنا. كان هناك عدد من النساء أيضا ولكن هيلن تتجنب النساء وتهرب منهن، خاصة الجميلات، مع أنها لا تحتاج إلى ذلك فمع الاعتراف بأن الجمال لا ينتهي حده عندها، لا يمكن للحور العين أن تنافسها، فليس الشكل الظاهري كل شيء إنما لحسن الذوق ومهارة الكلام وغنج الدلال له قيمته، هل ينشأ الحب في قلبها أم لا، الله أعلم، ولكنها تمتلك اليد الطولى في إظهاره، فنحن أصحاب القلوب نشعر بالخجل أمام مواساتها ودلالها وكرمها. في المساء خرجنا للتنزه في دلهي الجديدة، إنها منطقة ذات هواء نظيف، شوارعها واسعة، وحدائقها جميلة، فقد صرفت الحكومة في تعميرها وتزيينها أموالا طائلة ومن غير ضرورة لذلك، كان من الممكن صرف هذه الأموال لتطوير الخدمات للشعب ولكن الناس يتأثرون بالعمران أكثر من الخدمات، كان من الممكن صرفها في بناء عدة مدارس إضافية وترميم الطرق والبحث الزراعي، ولكن عامة الناس تحب المظاهر والفخامة حتى اليوم أكثر من الأعمال البناءة، فما يتصوره الناس عن الحاكم قد تسرب إلى كل ذرة في وجودهم ولن يمحى أثره لعدة قرون، والحاكم يحتاج إلى هذه الفخامة، والتبذير ضروري في هذه الحالة، أما الحاكم القانع أو البخيل ولو صرف كل روبية لمصلحة الشعب لا يمكن أن يكون محبوبا من قبل شعبه. إن الإنجليز ماهرون في معرفة نفسية الآخرين، ولم الإنجليز فقط ؟ كل حاكم حصل على الحكم بشدة وقوة الفكر يكون بالطبيعة ماهرًا في علم النفس ولا يكون باستطاعته أن يحكم قبضته على الناس بدونه، حسنا، كانت هذه جملا اعتراضية. أفكّر أحيانًا أن تكوين فريقنا قد أصبح حلما لن يتحقق، فنحن قد بدأنا نختلف فيما بيننا، برجندر يخالفني في كل خطوة أخطوها، فإذا قلت نهارًا قال ليلا، وهيلن مائلة إليه، حلمت أحلاما جميلة لحياتي لكن تبا لبرجندر هذا! فهو أناني يكاد يدمر حياتي، والشيء المسلّم به هو أننا لا يمكن أن نكون معا عند حسن ظن هيلن، فعلى واحد منا أن يغادر الميدان.

17/فبراير:

الحمد لله إن مساعينا قد أفلحت في دلهي، وأضيف إلى الفريق ثلاثة لاعبين جدد: جعفر، ومهرا، وأرجن سينغ، وما شاهدته من مهارتهم قد أزال إعجاب اللاعبين الأستراليين من قلبي. ثلاثتهم يرمون الكرة، فجعفر يمتلك القدرة الكاملة، ومهرا صبور ومثابر، وأرجن سينغ شاطر. وثلاثتهم أقوياء صادقون ولا يتعبون، ومن العدل أن أقول إن أرجن يلعب أفضل مني، قد زار إنجلترا مرتين ويعرف طريقة عيش الإنجليز ويفهم طبيعتهم، وهو مؤدب وذو خلق رفيع زال أمامه لون برجندر، والآن يحظى أرجن بالعناية الخاصة، وليس من السهل أن أفوز عليه، إني أخاف أن يصبح منافسي في حبها.

25/فبراير:

قد اكتمل فريقنا، وحصلنا على لاعبين من علي كره، ثلاثة من لاهور، وواحد من أجمير، وقدمنا إلى بومباي أمس، وقد نافسنا فرق أجمير ولاهور ودلهي وفزنا عليهم فوزا ساحقا، واليوم مباراتنا مع الفريق الهندوسي من بومباي، وأنا واثق من أننا سنفوز. يعتبر أرجن أحسن لاعب في فريقنا، وهيلن تكرمه لدرجة أني لا أشعر بالحسد، فهذا التكريم لا يكون إلا للضيف، وما الخوف من الضيف، والطريف أن كل شخص يعدّ نفسه أخيرًا لدى هيلن ويجعلها تهتم به، فإذا أصاب شخصا منا صداع، فمن واجب هيلن أن تسأل عنه وتضع الصندل على رأسه، ولكن مع ذلك فإن رعبها غالب على قلب كل واحد، ولا يستطيع أحد أن ينتقد ما تفعله، وكأن الجميع عبيد لمشيئتها، فإذا كانت تكرمهم كلهم فهي تحكمهم أيضًا. إن الملعب تتجمع فيه أجمل الجميلات ولكن من المستحيل أن يلتفت إليهن أو يبتسم لهن أحد من أسرى هيلن، الجميع يخشاها وكأنها موجودة وحاضرة في كل مكان، فقد نظر أرجن إلى آنسة نظرة واحدة وحدقت هيلن إليه بنظرات قاهرة جعلت لونه شاحبا، الكل يحسب أنها المتصرفة في أقدارهم، فإذا جعلوها تسيء بهم الظن استحالت عليهم الحياة، وماذا أقول عن الآخرين، كأني بعت نفسي لها، وكأن مشاعر الحسد قد انطفأت وفنيت في داخلي، فمهما تحدثت هيلن مع أحد أو غازلت شخصا، لا أغضب، أشعر بضربة في قلبي ولكن أعبر عن ذلك بإسالة الدموع وحيدًا بعيدًا عن الأنظار، أين طارت عزة نفسي، لا أدري، ففي لحظة ينكسر قلبي بسبب زعلها وعدم رضاها، وفي لحظة أخرى نظرة واحدة غافلة أو ابتسامة تهزني من الأعماق، لا أدري ما هي القوة التي تمتلكها لتحكم كل هذه القلوب الشابة، هل أقول إنها الجرأة أو المبادرة؟ ماذا أقول؟ وكأننا دمى بين أيديها، لا نملك أي صفة ذاتية أو شخصية أو ميزة خاصة، قد سيطرت على قلوبنا بجمالها وفراستها ومالها وأكثر من كل ذلك بشموليتها.

1/مارس:

انتهت بالأمس مباراتنا مع الفريق الأسترالي أمام جمع لا يقل عن خمسين ألفا، هزمناهم هزيمة نكراء ونعمنا بتكريم كبير، كل منا عمل بكل جد واجتهاد، وكنا مسرورين جدًا ، وعقدت حفلة رائعة من قبل أهالي المدينة للاحتفاء بنا، حفلة قد لا تعقد حتى للحاكم نفسه، وكأنني أثقلت بحمل التهاني والتبريكات، فقد قضيت على خمسة لاعبين مقابل أربعة وأربعين نقطة ، وكنت مستغربًا من الطريقة المهلكة التي لعبت بها، وكأن قوة غير مرئية كانت تساندنا، وقد تجمّع كل جمال مدينة بومباي بكل روعته وفخامته في هذا الحشد، وأنا واثق أن الجمال الذي تتمتع به مدينة بومباي لم يمنح لأي مدينة أخرى في العالم، ولكن هيلن كانت مركزا للأنظار في هذا الحشد من الحسن والبهاء، فهذه الظالمة ليست حسناء فقط، وإنما هي عذبة الحديث وصاحبة دلال أخاذ،كل الشباب كانوا يلتفون حولها مثل الفراشات وهم من الوجهاء والمتغازلين، وكانت هيلن تلعب بمشاعرهم مثلما كانت تلعب بمشاعرنا، لم أشهد في حياتي شخصا أكثر وجاهة من مهاراج كمار، فهو قوي الشخصية، من يدري كم من الجميلات أصبن بسهامه، يسحر اللب بوجاهته، ولكن هيلن التقت به هو أيضًا بدون كلفة، بحريتها المعهودة مثلما تلتقي بالشباب الآخرين، لم تؤثر فيها وجاهته وماله أبدًا، لا أدري من أين حصلت على هذا الغرور والثقة بالنفس، لا تزل قدمها أبدا ولا تتأثر بأحد، ولا تميل إلى أحد. نفس طريقة الحديث الجميلة ونفس الاعتراف بالحب لا تخص به أحدًا ، تهتم بالجميع ولكنها مستغنية عن الجميع.

عدنا إلى الفندق بعد التنزه الساعة العاشرة ليلا ونحن نحلم أحلام الحياة الجديدة، كانت القلوب مضطربة في انتظار ما سيكون الآن. كل القلوب كانت تعيش في أمل ورجاء وكأن كل واحد منا سيكون له اليوم ما يتذكره طوال حياته، ما هو البرنامج الآن؟ لم يكن في علم أحد، وكل قلب كان يخفي أمنيته، وكل واحد منا كان متيقنا أن هيلن تنظر إليه بنظرة خاصة، ولكن كان هناك الخوف من عدم وفاء هيلن، لا قدر الله، حينها سيضحي كل بنفسه عند أقدامها، ستقوم القيامة إن عاد من هنا حيا.

في نفس اللحظة استدعتني هيلن إلى غرفتها، وصلت ورأيت أن جميع اللاعبين موجودون في الغرفة، كانت هيلن تبهر العيون في هذه اللحظة في ساريها العسلي المشغول بالدانتيل، شعرت بالانزعاج في داخلي، لماذا استدعتني في هذا الاجتماع العام بينما أستحق منها معاملة خاصة، كنت قد نسيت أن كل واحد هنا يعتقد أنه يستحق معاملة خاصة. اتخذت هيلن مكانها على الكرسي وقالت: "أيها الأصدقاء! لا أمتلك الكلمات لأعبر لكم عن شكري وامتناني، لقد حققتم لي أمنية كبيرة في حياتي. هل تتذكرون السيد رتن لال؟" ومن يمكنه أن ينسى رتن لال؟ الشخص الذي منح

الفرصة للفريق الهندي أن يظهر قدراته على أرض إنجلترا، صرف مئات الآلاف لأجل هذه المهمة، ثم انتحر هناك بعد أن يئس من الهزائم المتوالية للفريق، إن وجهه يدور في مخيلتي إلى الآن.

قال الجميع: "نتذكره جيدًا، لم تمر على هذه الحادثة أيام كثيرة."

"أهنئكم على هذا الفوز الساحق وإن شاء الله سوف نزور إنجلترا العام القادم. فاستعدوا من الآن لهذه المهمة وسيكون ممتعًا جدًا أن لا نخسر ولو مباراة واحدة هناك، ونسيطر على الميدان كاملًا، أصدقائي هذا هو هدف حياتي، والعمل على تكميل الهدف هو الحياة، إننا نحصل على النجاح في الموضع الذي نعمل فيه بكل جهودنا ويكون ذلك الهدف حلمنا وعشقنا ومركز حياتنا، ولا يحول بيننا وبين هدفنا أي رغبة أو أمنية أخرى، سامحوني! لم تتعلموا كيف تعيشون لهدفكم، إن لعبة الكركت بالنسبة لكم ما هي إلا أداة للترفيه، إنكم لم تعشقوا اللعبة، وكذلك مئات من أصدقائنا، قلوبهم في واد وعقولهم في وادٍ آخر، وهم فاشلون طوال حياتهم، كنت أنا أكثر جاذبية لكم، وكانت لعبة الكركت وسيلة لإدخال السرور إلى قلبي ولكنكم نجحتم، ويوجد في وطننا آلاف الشباب لو تعلموا أن يعيشوا أو يموتوا من أجل تكميل هدفهم لحدثت المعجزات. اذهبوا واحصلوا على ذلك الكمال، إن جمالي ولياليَّ ليست ميدانًا لقضاء شهوة النفوس، وأنا أخجل من أن أعيش من أجل إسعاد عيون الشباب وإدخال السرور إلى قلوبهم، إن هدف الحياة أسمى من هذا بكثير، والحياة الحقيقية هي التي نعيشها من أجل الآخرين وليس من أجل أنفسنا."

كنا نستمع لها خافضين رؤوسنا ومكذبين لما نسمع، وخرجت هيلن من الغرفة لتركب السيارة، كانت قد جهزت لرحيلها من قبل. وقبل أن يعود كل منا إلى رشده وصوابه ونفهم ما حدث، كانت قد غادرت المكان.

فتشنا كل ركن من أزقة وفنادق وفلل بومباي لأسبوع كامل بحثا عنها، ولكننا لم نجدها، وللأسف فإن النموذج الذي كوّنته لحياتنا يستحيل الوصول إليه. وغاب كل حماس ونشاط من حياتنا مع غياب الجميلة هيلن.